Jurnal LUGHOTI
Jurnal Pendidikan Bahasa Arab
Vol. 4 No. 01 Desember 2022
E-ISSN : 2774-3950

Program Studi
Pendidikan Bahasa Arab
IAI Al-Qur'an Al-Ittifaqiah Indralaya
Ogan Ilir Sumatera Selatan

اتجاه التفسير البلاغي في القرآن الكريم

Agus Aulia Elluthfi[1)] dan Bakhrum[2)]

[1)]Faculty of Education Hantoub University of Gezira Sudan

[2)] Institut Agama Islam Al-Qur'an Al-Ittifaqiah Indralaya

e-mail: [1)]agusauliaelluthfi@gmail.com, [2)]bahrum.amir81@gmail.com

ABSTRACT

Interpretation of The Meanings of The Quran (Tafsir) and Rhetoric (Albalagah) are two closely related. Both of them are complement each other in understanding the intent and meaning of the verses the Al-Quran. This research try to describe the history of the development bookkeeping of litearature Tafsir from the classical period to the Ottoman Turkish dynasty. This research method is Analytical Descriptive. The results of the research show that the bookkeeping of Tafsir has passing through 4 important phases. First one is the prophetic era,then shahabah era,next to Tabiin era, and the era after Tabiin. In the era Phase after Tabiin emerge of school tafsir such as islamic jurisprudence based Interpretation Tafsir, science based tasir, phylology based tafsir, etc. corresponding to characters, backgrounds, tendencies of the Authors of Interpretation of Tafsir. Most phylology based Authors referred to Tafsir Al-Kasyaf that belongs to Azzamakhsyari, also to Tafsir Arrozi and Tafsir Albaidhowi in their phylology based tafsir writings. As for the writing of tafsir literary in the modern era, especially during the Ottoman dynasty, there's a progress was marked by some a famous author such as Abu Assaud through his Tafsir Irsyadul Aql Assalim.

مقدمة

إن أهمية التفسير تكمن في أهمية فهم كتاب الله جل وعلا المنزل على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ، وأما غايته فهي كشف معاني القرآن وبيان المراد منه.

كان الصحابة رضوان الله عليهم يهتمون بالقرآن اهتماما بالغا، فقد كانوا يحفظونه، ويتدبرون معانيه، ويسعون إلى العمل بما جاء فيه، فكان من اهتمامهم بالقرآن أنهم إذا حفظوا مجموعة من الآيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قال أبو عبدالرحمن السلمي: ((حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وابن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا حفظوا من الرسول صلى الله عليه وسلم عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قال فحفظنا القرآن والعلم والعمل جميعاً))[1].

وروى عن ابن عمر أنه ((تعلم سورة البقرة في أربع سنين))[2]، وهذا دليل على تدبره لها وفهمه لمعانيها وتطبيق ذلك. وروى عن أنس بن مالك أنه قال: ((كان الرجلُ إذا قرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ عَزَّ فينا يعني عَظُمَ قدره))[3].

وكذلك كان التابعون يحرصون على حفظ القرآن وتدبر معانيه فهذا مجاهد يقول : «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَوْقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا».[4]

أولا : مراحل تدوين تفسير القرآن :

لقد مر تدوين تفسير القرآن بالمراحل الآتية :

(1) ورواه ابن جَرِير الطَّبَرِيّ في مقدمة "تفسيره" (1/ 80) رقم (82)، (خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، ١٩٩٦ م، ج 7 ص 76)

(2) رواه ابن سعد، في الطبقات الكبرى، (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - ط 1، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ج 4 ص 123)

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج 9 ص 88)

(4) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج 1 ص 85.

المرحلة الأولى: التفسير في عصر التشريع وعهد النبي عليه الصلاة والسلام.

حيث نزل القران بلسان عربي مبين هو لغة قوم الذي بعث فيهم النبي وأنزل عليه القران ، فكان معنى القران واضحا يفهمونه بمجرد تلاوتهم سماعهم له، وإذا كان هناك غريب الألفاظ والمدلول، أو خفي عنهم معناه ، أو إذا احتاج إلى توضيح ، كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي فسره وبيّنه، وبيّن مشكله.

المرحلة الثانية : التفسير في زمن الصحابة رضي الله عنهم

أن التفسير كان يعتمد على الرواية، فالصحابة يروون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويروى بعضهم عن بعض.

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة رضي الله عنهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير[1].

وكان ابن عباس رضي الله عنه من المبرزين في هذا المجال ببركة دعاء النبي عليه السلام له : «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاجْعَلْهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ»[2] ، لذلك استحق أن يُدعى ترجمان القران رضي الله عنه .

المرحلة الثالثة وهي مرحلة التابعين :

وفيها كان التابعون يأخذون التفسير عن الصحابة رواية ودراية، ولا يعتمدون على اجتهاداتهم وقولهم فيها ، إلا إن لم يجدوا رواية في ذلك فكانوا يجتهدون بموجب ما فهموه وأخذوا من الصحابة، بالإضافة إلى أسباب النزول واللغة العربية وغير ذلك من أدوات التفسير ، ولكن ظهر في هذا العصر دخول الإسرائيليات في التفسير مما تلقاه البعض من كلام أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام ككعب الأحبار أو قراءة بعض التابعين لكتبهم.

واشتهر من التابعين مجاهد وقد قيل: «إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَحَسْبُكَ بِهِ» [3]وممن اشتهر من التابعين أيضاً سعيد بن جبير، وعكرمة - مولى ابن عباس - وقتادة، والضحاك، وعطاء بن أبي رباح، وزيد بن أسلم وغيرهم كثير.

(1) جلال الدين السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤. ج 4 ص 233.

(2) الحديث : رواه الحاكم في مستدركه (536/1) برقم (6343)، (الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، دار المعرفة - بيروت – لبنان)

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1 ص 85.

المرحلة الرابعة :

وهي المرحلة التي بدأ فيها تدوين العلوم الشرعية والسنة على وجه التحديد، وكان من ضمن الآثار والأحاديث التي دونت ما فيها تفسير لبعض الآيات سواء عن النبي أو عن الصحابة أو التابعين.

إلا أن هذه الأحاديث والآثار لم تكن مستقلة وحدها ابتداء، وإنما كانت مذكورة من ضمن المسانيد والمصنفات التي دونت حفظا للآثار وأسانيدها ، إلا أن هذه الأحاديث والروايات لم تكن مستقلة منذ البداية، بل كانت مكتوبة ضمن المصنفات التي كتبت للحفاظ على الآثار وأسانيدها، كمصنف عبد الرزاق الصنعاني واخرين.

أن التفسير دون من ضمن كتب الحديث، فالمحدوثون الذين تخصصوا في رواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجمعها كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن أفردوا باباً للتفسير في كتبهم جمعوا فيه ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين في تفسير القرآن فتجد ضمن صحيح البخاري ومسلم باب التفسير وكذلك كتب السنن.

لقد دون التفسير في كتب مستقل، جمع فيها مؤلفوها ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مرتباً حسب ترتيب المصحف فيذكرون أولاً ما روي في تفسير سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران وهكذا إلى آخر سورة الناس.[1]

(1) عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الوهيبي، التفسير بالأثر والرأي وأشهر كتب التفسير فيهما، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 7، ص200-237.

تم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه [1] وابن جرير الطبري [2]وأبو بكر بن المنذر النيسابوري [3] وابن أبي حاتم [4]وأبو الشيخ بن أبي حِبَّان [5]وأبو بكر بن مردويه [6] وغيرهم من أئمة هذا الشأن وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وتابع التابعين، وليس فيها شيء غير التفسير المأثور غرير أن ابن جرير الطبري لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار [7]

(1) ابن مَاجَهْ ، محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة (209 - 273 هـ = 824 - 887 م) : أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه (سنن ابن ماجة - ط) مجلدان، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة (الزركلي، الأعلام، ج 7 ص 144)؛ فقد ألف ابن ماجه (تفسيراً القرآن الكريم) وصفه ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" بأنه "تفسير حافل"، لكنه للأسف ضاع، كعديد من الكتب الأخرى التي ألفها. (ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة – القاهرة، ج 11 ص 52.)

(2) ابن جَرِير الطَّبَرِي ، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م) : المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر أعين نحيف الجسم فصيحا. له (أخبار الرسل والملوك - ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا؛ و(جامع البيان في تفسير القرآن - ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءا. (الزركلي، الأعلام، ج 6 ص 69).

(3) ابن المُنْذِر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ، أبو بكر(242 - 319 هـ = 856 - 931 م) : فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها. منها " المبسوط " في الفقه، و " الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف - خ " و " الإشراف على مذاهب أهل العلم - خ " الجزء الثالث منه، فقه، و " اختلاف العلماء - خ " الأول منه و " تفسير القرآن - خ ". (الزركلي، الأعلام، ج 5 ص 294)

(4) ابن أَبي حاتِم، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد (240 - 327 هـ = 854 - 938 م) : حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالريّ، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير) عدة مجلدات، منها جزآن مخطوطان. (الزركلي، الأعلام، ج 3 ص 324.)

(5) الحِبَّاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني، أبو محمد (274 - 369 هـ = 887 - 979 م) : من حفاظ الحديث، العلماء برجاله. يقال له أبو الشيخ. ونسبته الى جده حبان. له تصانيف منها " طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها - خ " ثلاثة أجزاء، (الزركلي الأعلام، ج 4 ص 120) وقال ابن مردويه: ثقة مأمون، صنّف «التفسير» والكتب الكثيرة في الأحكام وغير ذلك. (محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين،: دار الكتب العلمية – بيروت، ج 1 ص 247.

(6) ابن مَرْدُوَيه، أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني،. أبو بكر (323 - 410 هـ = 935 - 1019 م) ، ويقال له ابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان، له كتاب (التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) و (مسند) و (مستخرج) في الحديث. (الزركلي، الأعلام، ج 1 ص 261)

(7) محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)،. التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ج 1 ص 151.

في هذه المرحلة دون التفسير عندما انتشر التدوين بشكل واسع، وكان العرب يهتمون بتدوين كلّ ما يتّصل بدينهم، فقد تأسّست في كلّ قطر إسلامي مدرسة دينية اهتمت بتدريس تفسير القرآن، ورواية الحديث النبويّ الشريف، وتعليم الناس الفقه وما تتعلق بشؤون التشريع، وقام العديد من المتعلّمين في هذه المدارس بتدوين ما يسمعونه.

ثانيا : اتجاهات التفسير القرآني

وظل الخلف يحمل رسالة أسلافهم من جيل إلى جيل، حتّى وصلت مسيرة التفسير إلى تابعي التابعين، ومن هنا تعدّدت اتجاهات التفسير إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

(1) الاتجاه العلمي:

«هو التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»[1].

ولعل الإمام الغزالي [2] أكثر من تحدث عن هذا النوع من التفسير بمعلومات عصره، وما حصل عليه من كتب الفلسفة، وأحياناً بلفتاتٍ تأمليه وفقاً للآيات، وعندما عقد أول مؤتمر للإعجاز العلمي في إسلام أباد عام 1987م، عرف التفسير العلمي بأنه: «الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية»[3].

(2) الاتجاه الموضوعي:

«وهذا اللون من التفسير يتناول موضوعاً واحداً في القرآن، يعمد المفسر فيه إلى ذكر الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، ويشرحها ويفصل القول فيها» [4] .

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون ، ج 2 ص 349.

(2) الغَزالي، محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام (450 - 505 هـ = 1058 - 1111 م): فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين - ط) أربع مجلدات، و (تهافت الفلاسفة - ط) و (الاقتصاد في الاعتقاد - ط) و (محك النظر - ط) و (ياقوت التأويل في تفسير التنزيل) كبير و (أسرار الحج - ط). (الزركلي، الأعلام، ج 7 ص 22.)

(3) عبد المجيد بن عزيز الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي- مكة المكرمة (بدون). ص14

(4) محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، ط 2 ، بيروت، 1990، ص 324.

مثال على ذلك عندما يقوم المفسر بجمع آيات النفاق المنافقين من جميع السور القرآنية ويفسرها مرتبة ترتيبا موحدا.

(3) الاتجاه الفقهي:

«هو التفسير الذي يولي موضوع الأحكام الفقهية عناية خاصة»[1].

ومن الأمثلة على ذلك:

من الحنفية: ألَّف أبو بكر أحمد بن علىّ الرازي المعروف بالجصَّاص والمتوفى سنة سبعين وثلاثمائة من الهجرة كتاباً سماه أحكام القرآن تناول فيه الأحكام الفقهية مرجحاً مذهب الحنفية.

ومن المالكية: ألَّف أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بابن العربي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة من الهجرة كتابه أحكام القرآن، معتمداً على المذهب المالكي، وكان متحرراً قد بلغ رتبة الاجتهاد كما في ترجمته.

ومن الشافعية: ألَّف أبو الحسن عماد الدين، علىّ بن محمد بن علىّ الطبرى المعروف بالكيا الهراسي المتوفى سنة أربع وخمسمائة كتابه أحكام القرآن، وهو كسابقه يخرج عن المذهب إذا لاح له الدليل.

وهكذا بقية المذاهب حتى مذاهب الفرق المنحرفة التي تتعسف أحكام القرآن للتدليل على مذاهبها الباطلة، كالشيعة الاثنا عشرية، والباطنية، وغيرها، فكل طائفة جعلت لها تفسيراً يتماشى مع مذهبها، وفكرها.[2]

(4) الاتجاه اللغوي :

«هو التفسير الذي يبُنى على قواعد نحوية أو بلاغية، فإن ساعده السياق قُبِل، وإلا أعرضنا عنه، وأخذنا بما يصححه النظر، ويقويه الدليل» [3].

(1) المصدر نفسه.

(2) عبد الله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية،دار القلم، ط1 ، بيروت - لبنان، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م، ج 1 ص 145.

(3) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 2 ص 259.

وبعبارة أخرى نستطيع القول بإن الاتجاه اللغوي في التفسير هو : «الرجوع في تفسير القرآن إلى المعنى العربي الذي استعملته العرب، ويكون ذلك عند عدم النص الشرعي الذي ينقل المعنى اللغوي إلى معنىً آخر». [1]

ثالثا : الاتجاه البلاغي في التفسير

(1) تعريف التفسير البلاغي:

هو علم يعرف به أحوال الألفاظ، والجمل القرآنية التي بها يطابق مقتضى الحال، وفقاً للغرض الذي سيق له، مع إبراز سهولة المعنى، ومحاسن الألفاظ؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في فهم كلام الله.

وهذا المنهج تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل وما يتفرع من ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية، أو تحقيق في العلاقات اللفظية والمعنوية أو كشف الدلالات الحالية والمقالية. والبحث في هذا الجانب يعد بحثاً أصلاً في جوهر الإعجاز القرآني ومؤشراً دقيقاً في استكناه البلاغة القرآنية .

أو: هو القول في القرآن بالاجتهاد المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة تعنى بأسرار التراكيب لنظم القرآن بما يبين المعنى بحسب مقتضى الحال، وتظهر من خلاله فصاحة القرآن التي تحدى الله بها العرب[2].

ومن أعلام هذا الفن الإمام عبد القاهر الجرجاني[3]، فقد ألف كتاباً سماه إعجاز القرآن الصغير، وكتاباً آخر سماه إعجاز القرآن الكبير، وغيرها من المؤلفات، والعلامة محمود الزمخشري في تفسيره المسمى بالكشاف،... ومن المعاصرين الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقد جمع ما لم يجمعه غيره مستفيداً مِنْ مَنْ سبقه كثيراً، وهذا الاتجاه في التفسير تابع للتفسير بالدراية[4].

(1) عبد الله خضر حمد، المرجع السابق، ج 1 ص 143.

(2) عبد الله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، ج 1 ص 128.

(3) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل في النحو، وغيرها، ولد عام أربعمائة للهجرة وتوفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 149/5، وشذرات الذهب 240/3.

(4) عبد الله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، ص

(2) أهمية التفسير البلاغي:

أهمية التفسير البلاغي كثيرة، لا تكاد تنحصر في هذا البحث، ولكني سأذكر بعضها فيما يأتي:

1- الاكتشاف لمواطن إعجاز القرآن الكريم في الناحية البلاغية.

قال ابن عاشور: «فَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْعَرَبِ، إِذْ هُوَ مُعْجِزٌ لِفُصَحَائِهِمْ وَخُطَبَائِهِمْ وَشُعَرَائِهِمْ مُبَاشَرَةً، وَمُعْجِزٌ لِعَامَّتِهِمْ بِوَاسِطَةِ إِدْرَاكِهِمْ أَنَّ عَجْزَ مُقَارِعِيهِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ تَوَفُّرِ الدَّوَاعِي عَلَيْهِ هُوَ بُرْهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ تَجَاوَزَ طَاقَةَ جَمِيعِهِمْ. ثُمَّ هُوَ بِذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ لَدَى بَقِيَّةِ الْبَشَرِ الَّذِينَ بَلَغَ إِلَيْهِمْ صَدَى عَجْزِ الْعَرَبِ بُلُوغًا لَا يُسْتَطَاعُ إِنْكَارُهُ لِمُعَاصِرِيهِ بِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ، وَلِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ بِشَوَاهِدِ التَّارِيخِ. فَإِعْجَازُهُ لِلْعَرَبِ الْحَاضِرِينَ دَلِيلٌ تَفْصِيلِيٌّ، وَإِعْجَازُهُ لِغَيْرِهِمْ دَلِيلٌ إِجْمَالِيٌّ. ثُمَّ قَدْ يُشَارِكُ خَاصَّةَ الْعَرَبِ فِي إِدْرَاكِ إِعْجَازِهِ كُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ لُغَتَهُمْ وَمَارَسَ بَلِيغَ كَلَامِهِمْ وَآدَابِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مُخْتَلِفِ الْعُصُورِ »[1].

فلما كان جوهر الإعجاز لغويا بلاغيا كان الوقوف على الآيات القرآنية والدراسة عليها من الناحية البلاغية تكشف لنا عن هذا التحدي والإعجاز.

2- توجيه التفسير للألفاظ والعبارات القرآنية بما يرفع الغموض ويوضح المعنى.

ومثال ذلك: «لما جلس أبو عبيدة معمر بن المثنى[2] لدروس العلم في المسجد جاءه رجل يقول له: قال الله تعالى : ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [3] ، وإنما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم يعرف، قال: فقلت: إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

(1) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ج 1 ص 105.

(2) مَعْمَر بن المُثَنَّى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيد النحوي (110 - 209 هـ = 728 - 824 م) من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة 188 هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضيا، شعوبيا، من حفاظ الحديث. قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتبا. ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه. وكان له نحو 200 مؤلف، منها (نقائض جرير والفرزدق - ط) و (مجاز القرآن - ط) جزان، و (العقفة والبررة - ط) رسالة، و (مآثر العرب) و (المثالب). (الزركلي، الأعلام، ج 7 ص 272.)

(3) الصافات: 64.

وهم لم يروا الغول[1] قط، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وأزمعت منذ ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من علمه، ولما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز [2]

فيظهر من كلام معمر أن العرب تكتفي بالصورة الذهنية عن الصورة المشاهدة، ورأس الشيطان صورته في الذهن العربي صورة كريهة مخيفة مرعبة، فشبه به شجرة الزقوم، ومن هنا نشأ علم البلاغة لخدمة أساليب القرآن الكريم.

3- فهم المعاني القرآنية من خلال معرفة القرائن وسياق النص ولهجات العرب

فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل مدلولين متناقضين تماماً، دون أن تختلف الكلمة في بنائها الداخلي، وإنما الذي تغير هو «السياق» والقرائن المحيطة، فقد يقول الأب لابنه: «افعل كذا» وهو يقصد المعنى الظاهري لهذه الكلمة، وقد يستخدم نفس الكلمة ويقصد بها التهديد، الذي يستطيع اكتشافه من خلال القرائن، وهنا ينقلب معنى «افعل» إلى معنى مناقض تماماً هو «لا تفعل»**!**، وهذا هو بالضبط ما ينطبق على القرآن الكريم، فقد يستخدم القرآن صيغة الأمر ويقصد بها مدلولها الظاهري، عندما يقول: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [3]، وقد يقصد بها الإباحة عندما يقول: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ [4] عقيب الحظر في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ [5]، وقد يقصد التهديد عندما يقول: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [6]، وقد يقصد التعجيز والتحدي عندما يقول: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [7]، أو عندما يقول على لسان نبي الله هود ρ مخاطباً قومه

(1) الغُول أحد الغِيلان وَهِيَ جِنْسٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنّ، كَانَتِ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَن الغُول فِي الفَلاة تتراءَى لِلنَّاسِ فتَتَغَوَّلَ تَغَوُّلًا أَي تتلوَّن تَلَوُّنًا فِي صُوَر شتَّى وتَغُولُهم أَي تُضِلُّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَتُهْلِكُهُمْ، فَنَفَاهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَبطله بقوله : "لا عَدْوَى ولا طِيَرَة ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ ولا نَوْءَ ولا غُولَ" (محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر ، ط 3، بيروت، ١٤١٤ هـ، ج 11 ص 508.)

(2) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر - بيروت

(3) الإسراء: 78

(4) المائدة: 2.

(5) المائدة: 95.

(6) الزمر: 15.

(7) البقرة: 23.

الكافرين: ﴿مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [1]، وقد يقصد الاستهزاء عندما يقول الله تعالى في خطابة لبعض أهل جهنم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [2]، وهكذا وهلم جراً [3].

4- التأكد على معنى الكلمات المتقاربة والعبارات المتشابهة

فالجانب البلاغي واللغوي للتفسير القرآن تعنى بمقتضيات الأحوال وأسرار التراكيب في الآيات القرآنية، ومثال ذلك ورود كلمة "الرحمة" في القرآن الكريم، فإنها تأتي بمعاني متنوعة، منها :

أ) تأتي الرحمة صفة من صفات الله تعالى، تثبت له كما يليق بجلاله سبحانه، وهي كثير الورود في القرن الكريم كصفة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [4]

ب) تأتي الرحمة أيضاً بمعنى الجنة، ومثال ذلك أن الله يرحم المؤمنون الذي يطمعون في رحمته فيدخلهم الجنة، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [5]

ج) تأتي الرحمة تعني أيضًا النبوّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105] وأيضاً: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فقد فسر الطبري الرحمة هنا بأنّها النبوة حيث قال : "{وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ} وَرَزَقَنِي مِنْهُ التَّوْفِيقَ وَالنُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ." [6]

(1) هود: 55.

(2) الدخان: 49.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ص49، دار إحياء العلوم – بيروت، ط/ الرابعة 1998م.

(4) الكهف: 58

(5) البقرة: 218

(6) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج 12 ص 381.

د) تأتي الرحمة بمعنى القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في الآية: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1] ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: فَضْلُ اللَّهِ: الْإِيمَانُ، وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ. [2]

ه) تأتي الرحمة بمعنى المطر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [3]

و) تأتي أيضاً بمعنى المغفرة والعفو، وذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[4] يقول البغوي : "رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ، وَيَقْبَلُ الْإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ". [5]

ز) تأتي الرحمة بمعنى العطف والمودة، أي أنّ المسلمون متعاطفون مع بعضهم البعض، وذلك في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[6]

وهكذا، فإن هذه الظاهرة لتعدد المدلولات والمعاني للكلمة الواحدة التي ورد في القرآن إن دلت فإنما تدل على أهمية معرفة سياق النص، ولهجات العرب، لتفسير كتاب الله تعالى.

(3) المنهج البلاغي في التفسير:

المنهج البلاغي هو المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل وما يتفرع من ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي ، أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية ، أو تحقيق في العلاقات اللفظية والمعنوية أو كشف الدلالات الحالية والمقالية. والبحث في هذا الجانب يعد بحثاً أصلاً في جوهر الإعجاز القرآني ومؤشراً دقيقاً في استكناه البلاغة القرآنية [7].

(1) يونس: 58

(2) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج 12 ص 196.

(3) الأعراف: 57

(4) الأنعام: 12

(5) البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 3 ص 130.

(6) الفتح: 29

(7) محمّد حسين علي الصغير ، المبادئ العامة لتفسير القرآن، بين النظرية والتطبيق، دار المؤرج العربي، ط 1، بيروت – لبنان، 2000، ص 110.

(4) أشهر المفسرين لهذا الفن البلاغي:

ومن أشهر مفسري هذا التوجه هو أبو عثمان الجاحظ (ت 255هـ) إذ خصص كثيراً من مباحثه في كتابه « نظم القرآن » إلى استيفاء مجال العبارة واستخراج ما فيه من مجاز وتشبيه بمعانيها الواسعة غير المحدودة ، إلا أن هذا العرض من قبل الجاحظ جاء مجزأً ومفرقاً ، ولم يكن متفرغاً للقرآن كله ، بل لبعض من آياته كما يبدو ، وذلك من خلال معالجته البيانية في «نظم القرآن» والبيان والتبيين للجاحظ !

ولكن عند ظهور الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في كتابيه: «دلائل الإعجاز » و«أسرار البلاغة» فكانت الحال مختلفة، فالجرجاني عالم واسع الثقافة مرهف الحس، متوقد الذكاء ، وقد استخدم ذلك في استنباط الأصول الاستعارية والأبعاد التشبيهية ، والمعالم المجازية لآيات القرآن الكريم وأخضعها باعتبارها نماذج حيةً للتطبيق العلمي ، فهو بذلك أوسع بكثير من سابقه الجاحظ في هذا المضمار ، إلا أن الصورة التكاملية للقرآن مفقودة في كلا الكتابين على عظم قدرها البلاغي ، مفتقرة إلى السعة لتشمل القرآن أجمع. [1]

إلا أن ظهور جار الله الزمخشري (ت 538هـ) فتح لنا عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية التطبيقية ، انتظمت على ما ابتكره عبد القاهر الجرجاني ، وما أضاف إليه من نكت بلاغية ، ومعان إعجازية اعتمدت المناخ الفني فعاد تفسيره المسمى «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»كنزاً من المعارف لا تنتهي فرائده.

ومن أعلام هذا الفن، شيخ الإسلام فخر الدين الرازي (544هـ - 606هـ) الذي ألف تفسيره الكبير المسمى مفاتيح الغيب، ويعد تفسيراً شاملاً لكونه اشتمل على الجمع بين التفسير بالعقل السليم والنقل الصحيح، فضلاً عن شموله لأبحاث فياضة تضم أنواعاً شتى من مسائل العلوم المختلفة. كما يعد من أطول التفاسير القديمة والحديثة، وأكثرها تفصيلاً وعرضاً للآراء، ومناقشة للمعتقدات والمذاهب المختلفة. ويذكر فيه الإمام الرازي مناسبة السورة مع غيرها، ويذكر المناسبات بين الآيات، ويستطرد في العلوم الكونية، ويتوسع بها، كما يذكر المسائل

(1) نور أفشان، المنهج البلاغي في التفسير وأعلامه، المحاضرة المتعاقدة بجامعة كشمير، 10 نوفمبر 2022، https://tinyurl.com/4an6cvr4، تاريخ الزيارة، 13 ديسمبر 2022

الأصولية والنحوية والبلاغية، والاستنباطات العقلية. ويبين في تفسيره معاني القرآن الكريم، وإشاراته، وفيه أبحاث مطولة في شتى العلوم الإسلامية.[1]

وقد وصف الذهبي بأن تفسير الفخر الرازى ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير، بالأبحاث الفيَّاضة الواسعة، فى نواح شتَّى من العلم.[2]

ويأتي بعد الرازي شيخ الإسلام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي (ت 685 هـ)، الذي ألف كتابا سماه : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهو من أشهر كتب التفسير وأجمعها أقوالاً وأسهلها تناولاً وأوضحها عبارة مع تلخيص وإيجاز، ويعد من أمهات كتب التفسير بالرأي عند أهل السنة والجماعة.[3]

اشتهر هذا التفسير وتلقاه العلماء بالقبول، وذاع ذكره في سائر الأقطار، واشتغل به العلماء إقراءً وتدريسًا وشرحًا، وظل يدرس بالأزهر وغيره من معاهد العلم قرونًا عديدة، وهو كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب الأصفهاني ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات[4]

فقد اتفق الباحثون على أن معظم المفسرين اعتمدوا في تفاسيرهم بناءً على تفسيرين: تفسير الكشاف للزمخشري وعليه المدار في بيان الألفاظ والتراكيب وتحليل المباني واستخراج المعاني، وتفسير الرازي ومن بعده البيضاوي وعليهما المدار في إبراز مقاصد التنزيل والكشف عن الحكمة الإلهية وما إلى ذلك، ومن ثم كانت هناك حاجة لوضع كتاب في التفسير يجمع بين النهجين، ويرفع الحرج عما كان الدارسون يلاقونه في الكشاف من نزعات اعتزالية تخالف منهج أهل السنة والجماعة، ومن هنا جاء أبو السعود أفندي في القرن الحادى عشر الهجري، بتفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. فوضع تفسيرا جديدا يجمع بين الكشاف والبيضاوي يوضح كلام هذا من ذاك وقد اختلطا في بعض التفاسير، ويضيف إليهما بعض المباحث، ويمحص ما في الكشاف من نزعات اعتزالية عملا معرفيا مقدرا.[5]

(1) http://www.almeshkat.com/book/1523 ، تاريخ الزيارة، 14 ديسمبر 2022.

(2) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1 ص 208.:

(3) محمد مصلح الدين مصطفى القوجاوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على التفسير البيضاوي، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت – لبنان، 1999، ج 1 ص 3.

(4) محمد مصلح الدين مصطفى القوجاوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على التفسير البيضاوي، المرجع السابق، ج 1 ص 4.

(5) محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، 1970، ص 110.

اهتمام أبو السعود بالناحية البلاغية للقرآن:

فقد ركز في تفسيره على النواحي البلاغية: "فهو يُعنى عناية خاصة ببلاغة القُرْآن الكريم وأبوابها المختلفة، خصوصًا علم المعاني، فيقف مثلًا وقفات ذكية أمام باب الفصل والوصل، وعند الالتفات في القُرْآن الكريم وأغراضه البلاغية، ويبين أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أشد وقعًا في النفوس، وأكثر استمالة للقلب، ومما يلاحظ في تفسيره أيضًا التأكيد على التكرار وفوائده في فهم كلام الله عز وجل، وهدفه من ذلك رحمه الله إظهار أن إعجاز القُرْآن في وجوه بلاغته[1]؛ يقول مثلًا عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[2]: ﴿ طَلْعُهَا ﴾ أي: حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة؛ لمشاركته له في الشكل والطلوع من الشجر، قالوا: أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر، ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمخيل، كتشبيه الفائق في الحسن بالملَك، وقيل: الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها أعراف، وقيل: إن شجرًا يقال له الأستن، خشنًا منتنًا مرًّا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين"[3]

وقد اهتم أبو السعود اهتماماً كبيراً بالدرس البلاغي ، ومظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ، وقد ظهرت جهوده ظهوراً ملحوظاً في هذا المجال وخاصة

وشدد أبو السعود على دراسة البلاغة ومظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ، وإن جهوده في هذا المجال فريدة من نوعها ، لا سيما في شرحه للموضوعات البلاغية ومناقشته لها أثناء تفسيره للآيات. فقد عرض كثيراً من المسائل البلاغية في تفسيره سواء في علم المعاني أو علم البيان أو علم البديع.

فقد كان يشير إلى أكثر من وجه من الوجوه البلاغية في تفسير الآية الواحدة كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[4] ، قال أبو السعود بعد تفسيره لقوله تعالى :

"فالجملةُ استئنافٌ مقرّر لما قبلَها والفاءُ في قولِه تعالى **{فَلَا تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ}** لترتيبِ النَّهي عن تزكيةِ النفسِ على ما سبقَ منْ أنَّ عدمَ المؤاخذةِ باللممِ ليسَ لعدمِ كونِه من قبيلِ الذنوبِ بلْ لمحضِ مغفرتِه تعالى مع علمه بصدروه عنكُم أي إذَا كانَ الأمرُ كذلكَ فلا تُثنوا عليها بالطهارةِ عن

(1) مسعد أحمد الشايب، منهج تفسير أبي السعود، شبكة الألوكة، 2017/3/30 ميلادي - 1438/7/2 هجري، https://www.alukah.net/sharia/0/114284

(2) [الصافات: 65]

(3) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج 7 ص 194.

(4) النجم: 32

المعاصِي بالكليةِ أو بما يستلزمُها من زكاءِ العملِ ونماءِ الخير بلِ اشكرُوا الله تعالى على فضلِهِ ومغفرتِه". (1)

وكان يستشهد بآيات شعرية تدعم وجهة نظره أثناء ذكره للقضايا اللغوية والبلاغية، ومثال ذلك حين يفسر قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (2)

يقول أبو السعود : "دُونَ ما لاقوه من القتلِ أي قبلَهُ وهو القحطُ الذي أصابَهُم سبعُ سنينَ، أو وراءَهُ كما في قولِه:

تُريكَ القَذى مِن دونِها وَهيَ دونَهُ إذا ذاقَها مَن ذاقَها يَتَمَطَّقُ (3)

وهو عذابُ القبرِ وما بعدَه من فنونِ عذابِ الآخرةِ". (4)

يقول الدكتور محمد السيد حسين الذهبي : "قرأت في هذا التفسير فلاحظت عليه أنه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقُرْآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القُرْآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القُرْآنية بين طياتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتي حظًّا وافرًا من المعرفة بدقائق اللغة العربية، ويكاد يكون صاحبنا هو أول المفسرين المبرزين في هذه الناحية". (5)

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 8 ص 162.

(2) الطور: 47

(3) البيت للأعشى ميمون بن قيس (7هـ) ، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ينظر : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ج 1 ص 257؛ والزركلي، الأعلام، ج 7 ص 341.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 8 ص 152.

(5) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1 ص 248.

الخلاصة :

بعد هذا السرد والشرح، يمكن الاستنتاج على النحو التالي :

1- إن قراءة تفسير القرآن ودراستها تعين وتساعد على فهم قوي ودقيق لكتاب الله عز وجل، وتذوق روحه ومقاصده؛ إذ أن كثيراً من الآيات القرآنية، لا تفهم إلا بالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة.
2- لقد مر تدوين التفسير على أربع مراحل الرئيسية. المرحلة الأولى : وهي مرحلة النبوة، والمرحلة الثانية : مرحلة الصحابة رضي الله عنهم ، المرحلة الثالثة مرحلة التابعين، والمرحلة الرابعة : مرحلة ما بعد التابعين، وهي المرحلة التي بدأ فيها تدوين العلوم الشرعية ومن ضمنها الآثار والأحاديث التي دونت ما فيها تفسير لبعض الآيات سواء عن النبي أو عن الصحابة أو التابعين.
3- إن حركة تدوين التفسير بعد عصر التابعين انتجت مدارس والتجاهات لتفسير القرآن، من بينها الاتجاه العلمي، والاتجاه الموضوعي، والاتجاه الفقهي، الاتجاه اللغوي. وهذه الاتجاهات والمدراس التفسيرية تنشأ على خلفية صاحبها من حيث الميول والفنون والمعرفة.
4- من خلال الدراسة، تبين أن للدراسة الناحية البلاغية للآيات القرآنية أهمية كبيرة، منها :
   أ. الاكتشاف لمواطن إعجاز القرآن الكريم في الناحية البلاغية.
   ب. توجيه التفسير للألفاظ والعبارات القرآنية بما ويوضح المعنى يرفع الغموض.
   ج. فهم المعاني القرآنية من خلال لهجات العرب ومعرفة القرائن وسياق النص
   د. التأكد على معنى الكلمات المتقاربة والعبارات المتشابهة
5- أن معظم المفسرين المتأخرين اعتمدوا في تفاسيرهم بناءً على تفسيرين: تفسير الكشاف للزمخشري في بيان الألفاظ والتراكيب وتحليل المباني واستخراج المعاني، وتفسير الرازي ومن بعده البيضاوي في إبراز مقاصد التنزيل والكشف عن الحكمة الإلهية وما إلى ذلك.
6- لقد ازدهر حركة التفسير في العصر المتأخر، خاصة في ظل الدولة العثمانية، وذلك بجهود العلماء العثمانيين، من بينهم شيخ الإسلام أبو السعود أفندي الذي ألف كتابه المسامى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ويعد مثل هذا التأليف برهانا على ما بلغته العلوم الدينية عموما وعلم التفسير خصوصا في ظل الدولة العثمانية من الازدهار، وأن ما يشاع عن تراجع العلوم الإسلامية في ظل العثمانيين ليس صحيحا على إطلاقه.

المراجع :

1. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
2. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج 7 ص 194.
3. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر - بيروت
4. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - ط 1، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
5. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ،
6. الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، دار المعرفة - بيروت – لبنان
7. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني دار إحياء العلوم ، ط1 ، بيروت، 1998م.
8. جلال الدين السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤. ج 4 ص 233.
9. خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، ١٩٩٦ م
10. عبد الله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية،دار القلم، ط1 ، بيروت - لبنان، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
11. عبد المجيد بن عزيز الزنداني تأصيل الإعجاز العلمي ص14، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي- مكة المكرمة (بدون).
12. عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الوهيبي، التفسير بالأثر والرأي وأشهر كتب التفسير فيهما، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 7
13. محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)،- التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة
14. محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، 1970.

15. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
16. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر ، ط 3، بيروت، ١٤١٤ هـ،
17. محمّد حسين علي الصغير ، المبادئ العامة لتفسير القرآن، بين النظرية والتطبيق، دار المؤرج العربي، ط 1، بيروت – لبنان، 2000
18. محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، ط 2 ، بيروت، 1990
19. محمد مصلح الدين مصطفى القوجاوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على التفسير البيضاوي، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت – لبنان، 1999 (1) محمد مصلح الدين مصطفى القوجاوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على التفسير البيضاوي، المرجع السابق، ج 1 ص 4.
20. مسعد أحمد الشايب، منهج تفسير أبي السعود، شبكة الألوكة، 2017/3/30 ميلادي - 1438/7/2 هجري، https://www.alukah.net/sharia/0/114284
21. نور أفشان، المنهج البلاغي في التفسير وأعلامه، المحاضرة المتعاقدة بجامعة كشمير، 10 نوفمبر 2022، https://tinyurl.com/4an6cvr4، تاريخ الزيارة، 13 ديسمبر 2022
22. http://www.almeshkat.com/book/1523 ، تاريخ الزيارة، 14 ديسمبر 2022.